جامعة الجزائر 3

كلية علوم الإعلام والاتصال

الأستاذة ينون فاطمة الزهرة

الطور: ماستر

السنة:الأولى

التخصص:ماستر اتصال تنظيمي (المجموعة الأولى)/ماستر الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة

المادة المدرسة: المقاربات الكمية والكيفية

نوع المادة:محاضرة

المجموعة:الأولى

مدخل إلى مناهج استراتيجيات البحث النوعي

تمثل مناهج البحث وأنماط الاستقصاء استراتيجية البحث النوعي ،تتجه هذه الأخيرة باتجاهين هما بحث تفاعلي ميداني وبحث غير تفاعلي (وثائقي).

تتمثل أهم معالم البحث التفاعلي في:

- دراسة معمقة باستخدام الأسلوب المباشر، وجها لوجه، في جمع البيانات والمعلومات من الأفراد في مواقعهم الطبيعية.

- يفسر البحث الظاهرة بالمصطلحات والمعاني التي يأتي بها الأفراد المشاركين أنفسهم.

أما البحث غير التفاعلي فتتمثل أهم معالمه في:

- يسمى بحث تحليلي أو وثائقي، ويعتمد على التحري عن المفاهيم التاريخية والأحداث من خلال الوثائق.

وهناك عدد من المناهج والاستقصاءات المباشرة التفاعلية ،المستخدمة على وجه الخصوص في البحوث النوعية هي:

1-دراسة الأعراق أو الاستقصاء الأثنوغرافي " Ethnography"

2-دراسة الظواهر أو الاستقصاء الظاهراتي .

3-دراسة الحالة.

وقد يضيف إليها باحثون آخرون أنواع أخرى مثل:

4-البحث الإجرائي.

5-النظرية المتجذرة.

6-المنهج التحليلي الوثائقي (التاريخي).

سنركز هنا على "الإثنوغرافيا " وتسمى أيضا "الأنثروبولوجيا الوصفية"،لأنه سبق التعرف على أهم البحوث الأخرى،بينما تمثل " الإثنوغرافيا" نموذجا للبحوث النوعية التفاعلية،نتعرف من خلالها على هذا البحث وخطواته التي تمثل خطوات البحث النوعي.

الاثنوغرافيا: يستعمل هذا المصطلح في بعض الأحيان كمرادف للبحوث النوعية ،ومع ذلك فهو نوع خاص من هذه الأخيرة (أي البحوث النوعية)،هي عبارة عن

وصف وتحليل وتفسير لثقافة مجتمع أو مجموعة من الأفراد ،أو نظام ما ،وتركز على الأفعال والمعتقدات ،ونمط الحياة لهؤلاء الأفراد أو المجتمعات أو النظام،وتؤدي استراتيجيات جمع البيانات للحصول على تصورات الناس وسلوكياتهم ومعتقداتهم في بيئات اجتماعية.

بالرغم من تباين الطرق التي يقوم بها الباحثون الاثنوغرافيون في التعامل مع دراساتهم إلا أن هنالك خصائص مشتركة لطرائقهم المختلفة هي:

1-جمع الأدلة مباشرة من الميدان،وبأنفسهم عن طريق مشاركتهم حياة الأفراد والأحداث،والمواقف في سياقها الطبيعي،كما يجرون مقابلات رسمية وغير رسمية مع أفراد المجتمع الذي يدرسونه.

2-يوثق الباحثون وجهات نظر المشاركين في الدراسة،وذلك من خلال معايشتهم وحوارهم المستمر مع المشاركين.

3-يجمع الباحثون معلومات كثيرة باستخدام أساليب متعددة: الملاحظة،المقابلة،حفظ المذكرات/اليوميات ،وتحليل الوثائق المتوافرة،والتصوير الفوتوغرافي،وتسجيل الفيديو...وغيرها،ويتم تحليل هذه البيانات بطرق التحليل النوعي.

4-يبدأ الباحث بأسئلة بحثية أولية عامة،وعادة ما يقوم بإعادة صياغتها أثناء عملية جمع البيانات.

إجراء البحوث الإثنوغرافية:عموما خطوات إجراء هذه البحوث هي نفس خطوات البحث النوعي وهي:

المرحلة الأولى هي **تحديد المشكلة** أو الظاهرة التي ينبغي استكشافها حيث يستهدف محاولة فهم العالم كما تراه المجموعة موضع الدراسة.

إضافة إلى الإشكالية اختيار **الموقع الميداني** أي مكان إجراء الدراسة أين سيتم جمع البيانات.

بعد تحديد الموقع يجب على الباحث **الحصول على منفذ** (الدخول) وتقرير ما الذي سيدرسه، ويستخدم الباحث الاثنوغرافي التعيين القصدي/الهادف (العينات القصدية)،فيختار الأعضاء (المبحوثين) الذين لديهم مدة طويلة في المجموعة،ولديهم معلومات وفيرة عن نشاطاتها وأنماط اتصالاتها، وباستخدام المعلومات المحصل عليها يقرر ماهي السلوكيات التي سيراقبها ،ومتى،وأين،وأي المفردات سيختار للمقابلات المكثفة،وأي الوثائق الرئيسية التي يمكن أن تكون ذات الصلة والتي سيقوم بتحليلها.

بعد المعاينة يبدأ العمل الميداني وجمع البيانات بواسطة تقنيات جمع المعطيات المختلفة (الملاحظة،المقابلة وغيرها) ،تتبع بمرحلة تحليل البيانات ،وتأتي المرحلة الأخيرة هي إعداد التقرير المكتوب الذي يبدأ عموما ببيان عن الغرض أو السؤال البحثي الموجه ،ووصف للمنهاج ،ويكون متبوعا بالدليل والأمثلة التي توضح المواضيع الرئيسية للبيانات،وتفسيرات الباحث لها ،والتأثيرات المتوقعة للنظرية وللممارسة المستقبلية،وعموما يكون التقرير مسهبا.

الأسس التي تعتمدها استراتيجية البحث الاثنوغرافي:

يقوم هذا البحث على الأسس والافتراضات التالية:

1-يتأثر السلوك بالبيئة التي يحدث فيها،والفهم الحقيقي للسلوك يتطلب فهم تلك البيئة أو السياق،فالثقافة بكل أبعادها في البحث النوعي الاثنوغرافي هي العنصر الأساس في فهم حياة الأشخاص.

2-تجمع البيانات والمعلومات في مواقعها وسياقها الطبيعي،وتتم عملية تفسير البيانات في إطار السياق الذي جمعت فيه.

3-تعميم النتائج ليس هدفا،المهم الوصف الدقيق والكافي للموقف،والتوسع في النتائج.

4-لا يفرض الباحث نظامه القيمي أو معتقداته على المواقف قيد الدراسة،أو المشاركين في الحدث،بعبارة أخرى لا يضبط الباحث المواقف ولا يحاول التحكم بها،أو إجراء أي معالجة لها كما الحال في البحث التجريبي ،لذا ينبغي عليه وصف السياق والمحيط من دون أية محاولة للباحث أن يفرض نظامه القيمي على المواقف البحثية.

5-عملية اشتقاق الفروض والمعاني والتفسيرات للحدث أو الموقف عملية ديناميكية ومستمرة.

6-إدراكات الأفراد والجماعات هي الموجه الأساسي لسلوكهم نحو الآخرين.

7-التفاعل ضروري بين الباحث في الموقف أو السياق الاجتماعي والمشاركين.

8-الباحث الاثنوغرافي حساس ويقظ ومنتبه لما يدور في الموقف أو المشهد الاجتماعي،يدون الأحداث بدقة وأمانة وموضوعية.

9-تنبثق أسئلة الباحث الاثنوغرافي من عدد من المصادر مثل:الأحداث اليومية الشائعة عند المشاركين،الإيديولوجيات والفلسفات،الخبرات والتجارب.

تحليل البيانات في البحث النوعي

تتمثل بيانات البحث النوعي في أقوال الأفراد وقناعاتهم وآرائهم التي تعطى للباحث بشكل لفظي أو سردي ،وبعبارة أخرى الألفاظ والكلمات هي المادة التي يتعامل معها الباحث النوعي ،ومن هنا فإن طكرق التحليل التي يستخدمها وأسلوب عرضه للنتائج التي يتم التوصل إليها ذات طبيعة خاصة.

تأتي هذه البيانات في مجموعة معينة من الأشكال مثل الملاحظات التي يتم إبداؤها أثناء الرصد في الميدان ،ونصوص المقابلات والوثائق والمذكرات والمجلات ،إضافة إلى ذلك يجمع الباحث كمية من البيانات أثناء الدراسة ،تنظيم هذه المعلومات وتحليلها يجعل منها شيئا ذا معنى ،وهو تحدي خاص للباحث النوعي.

تتم عملية تحليل البيانات في البحث أو الدراسة النوعية مبكرا أثناء عملية الجمع ويستمر طيلة المشروع ،وهو يستخدم الأسلوب الاستقرائي ،يتم جمع البيانات ذات العلاقة بموضوع ما ،ثم توضع في مجموعات مناسبة وذات معنى وتنبثق التفسيرات من البيانات.

يتم تحليل البيانات وفق مراحل أجملها " Hermann Maier ""ماير هيرمان" في 1- تقليل البيانات أو اختصارها 2- عرض البيانات 3- استخلاص النتائج 4- التحقق.

أما " Cresswell " كرسويل" فقد وضع مراحل مشابهة للمراحل الآنفة الذكر وهي: 1- تصنيف البيانات 2- الفحص والتدقيق 3- التعبير 4- الدمج والتلخيص.

يتشابه كل من تقليل البيانات واختصارها لدى "هيرمان" مع تصنيف البيانات لدى "كرسويل" حيث تعني تجميع البيانات وتنظيمها وتصنيفها وفق البعد الزماني تبعا لتسلسل الأحداث التي وقعت حسب"هيرمان"أو تصنيفها في مجموعات ،كل مجموعة تضم البيانات الخاصة بفكرة أو جزئية معينة حسب "كرسويل" .

قد يستخدم الباحث بطاقات أو ملفات ورقية أو طباعة كل مجموعة على الحاسوب بحيث تكون كل مجموعة في ملف مستقل ،ويكون لكل مجموعة عنوان واضح ،وقد تقسم كل مجموعة إلى أقسام فرعية ،ويكون لكل قسم عنوان يدل عليه.

عرض البيانات أو الفحص والتدقيق والتحليل :يمكن تحليل البيانات النوعية بتقنيات عديدة مختلفة أكثرها شهرة أسلوب المقارنة الثابتة والأسلوب الاستقرائي التحليلي.

يقوم أسلوب المقارنة على مقارنة الحوادث للفئات أي بعد إعداد البيانات للتحليل يضع الباحث كل وحدة من التحليل في مجموعة من الفئات المؤقتة ،ومع فحص كل وحدة جديدة تتم مقارنتها بالوحدات الأخرى التي كانت قد وضعت سابقا في نفس الفئة لمعرفة إذا كان إدراجها مناسبا ،ومن المحتمل أن يكون في بعض الفئات الأولية حدثا واحدا او اثنين فقط ،في حين يكون في فئات أخرى عدد كبير منها ،وإذا تبين أن بعض الوحدات لا تناسب أيا من الفئات المعدة مسبقا يتم إيجاد تصنيف جديد ووحدات تناسب أكثر من فئة يتم نسخها ووضعها حيث تناسب ،وينصب التركيز طوال العملية على مقارنة الوحدات وإيجاد تشابهات بينها تناسب تلك الفئة حتى يتم تطوير الفئات وصقلها وتثبيتها ثم يبحث الباحث عن علاقة بين هذه الفئات تسمح بتوليد تأكيدات باستطاعتها شرح الظاهرة قيد الدراسة ومن تم توضيحها.

ليصل الباحث إلى تبسيط البيانات ودمجها في بنيان نظري متماسك يكتب فيه الباحث تقريرا يلخص البحث ،ويتم دمج جميع نتائج التحاليل السابقة في توضيح متماسك للظاهرة ،ويحاول الباحث كتابة شرح مختصر ولكن في تفصيل كاف لإيصال فكرة عن نطاق المشروع ،والهدف من هذه المرحلة هو الوصول إلى فهم للناس والأحداث التي تمت دراستها.

أما الاستراتيجية الاستقرائية التحليلية فإنها تجمع بين بناء الفرضية وتحليل البيانات ،وهي تنطلق من شرح الظاهرة في صيغة فرضية تتولد في بداية الدراسة ثم يسير في الدراسة ويدرس حالة بحالة ،ويتأكد في كل مرة إن كانت الفرضية تنطبق على الحالة ويقوم بتطويرها في كل مرة تظهر حقيقة جديدة وهكذا ،حيث يحاول الباحث العثور على حالات قد تتناسب والفرضية الجديدة وهكذا في كل مرة يطور فرضيته الجديدة.

الاشكال هنا أن العملية مرهقة قد يكون من الصعب على الباحث أن يقرر نقطة التوقف بالضبط ويستطيع أن يجادل دائما أنه لازال هناك حالات في المجتمع قد لا تدعم الفرضية ولكن الباحث ببساطة لم يجدها.

التحقق :الثبات والصحة في البحث النوعي

إن مفاهيم الثبات والصحة لها معاني دلالية مختلفة في البيانات النوعية ،حيث يشير" lindlof" أن ما يميز البحث النوعي الطبيعة المتغيرة والتصور مع مرور الوقت للسلوك ،ومهما يكن من أمر ورغم أنه ينظر إليها على أنها مختلفة إلا أن الثبات والصحة ليسا أقل أهمية في البحث النوعي،وهما تساعدان القارئ على تقرير كم من الثقة يمكن وضعها في نتائج الدراسة ،وهل باستطاعته تصديق استنتاجات الباحث ،أو كما عبر عنه " Hammersly""هامرسلي" :تتحقق الصحة عندما يكون وصف الظاهرة التي تمت ملاحظتها يصور بدقة ما تم ملاحظته.

بدلا من التركيز على الثبات والصحة خاطب " Morehouse et Maykut""ميكوت ومورهاوس" مسألة موثوقية مشروع البحث النوعي ،وقد لخصا أربعة عوامل تساعد على بناء الثقةك

1-الأساليب المتعددة لجمع البيانات:استخدام المقابلات ،الملاحظات الميدانية ،تحليل الوثائق الموجودة ،بمعنى أن يتم فحص الموضوع من عدة زوايا مختلفة ،مما يساعد على بناء الثقة في النتائج.

2-ممر التدقيق:هذا العامل هو في الأساس تسجيل دائم للبيانات الأصلية المستخدمة في التحليل وتعليقات الباحث ومناهج التحليل ،ويسمح ممر التدقيق للآخرين بفحص عملية الفكر الموجودة في عمل الباحثين ،كما يسمح لهم بتقييم دقة استنتاجاتهم.

3-مراجعة الأعضاء:في هذه التقنية يطلب من المشاركين في البحث قراءة ملاحظات الباحث واستنتاجاته وأن يقولوا ما إذا كان الباحث قد وصف بدقة ما قيل.

4-فريق البحث:يفترض هذا المنهج أن أعضاء الفريق يبقي كل منهم الآخر صادقا ونحو الهدف عند وصف البيانات وتفسيرها ،وعند الاقتضاء يطلب من شخص خارجي مراقبة العملية وطرح أسئلة عن احتمال التحيز وإساءة التفسير.

إن الهدف الأساسي من كل ذلك هو إنتاج تقرير علمي متماسك ومتكامل عن موضوع الدراسة الكيفية ،فتنظيم وتحليل بيانات البحث الكيفي ليس له طريقة واحدة أو قواعد جامدة ،هذه المرونة تمليها اعتبارات متعددة أهمها:اختلاف طبيعة المشكلات البحثية واختلاف الموضوعات والبيانات التي يتم جمعها والأدوات المستخدمة ،واختلاف رؤية الباحثين ومهاراتهم في البحث العلمي...الخ،كما أن تنظيم وتحليل بيانات البحوث الكيفية عملية معقدة وتستهلك الكثير من الوقت والجهد الذهني.

مقارنة بين المقاربة الكمية والمقاربة النوعية (الكيفية)

يمكننا تلخيص الفرق بين البحث الكمي والبحث النوعي في النقاط التالية:

1-المنطلق والدوافع الاجتماعية :

- ينطلق البحث الكمي من حقيقة موجودة فيتم اثباتها بأدوات مناسبة مع خصائص أساسية تعطينا حقيقة ثابتة ومطلقة.
- ينطلق البحث الكيفي من مؤثرات مختلفة تبنى اجتماعيا وعن طريق وجهات نظر للأفراد والجماعات لوجهاتهم ،حيث تكون وراء التوجهات دوافع اجتماعية وثقافية وعرقية ودينية تؤدي إلى أن يفهم الباحث الظاهرة في ظروفها.
- لا يستعمل الباحث الكيفي المقاييس الكمية حيث لا تؤدي إلى الخروج بنتيجة أو تفسيرها ،ويرجع هذا إلى أن البحث الكيفي يكون معقدا ويصعب فهمه ،كما أن البحث الكيفي له علاقة بالبيئة التي يعيشها الانسان ،حيث يجب أن يكون التعايش مع هذه البيئة مع ما يمسها من تاريخ وثقافة على عكس البحوث الكمية فهي معزولة عن البيئة.

2-الهدف المختلف:

- ينطلق البحث الكمي من فرضيات ويجربها ،تكون وفق قياسات وبناء المتغيرات للوصول إلى علاقة سببية أو ارتباطية ،كما أن الوصول إلى عموميات ليس لها علاقة بالدراسة مع تعميم النتائج على الحالات الأخرى (تعميم النتائج).
- يهدف البحث الكيفي مشاركة الباحث المبحوث في حياته للوصول إلى الهدف ،ويجمع البيانات ويحللها ،بهدف توسيع النتائج البحثية وليس تعميم النتائج ،أي

يهدف ألى فهم الظاهرة الاجتماعية من منظور المشاركين أنفسهم في حالتهم الديناميكية.

3-المنهجية والخطوات:

يسير البحث الكمي وفق منهجية محكمة وخطوات تتابعية دقيقة ،أما البحث الكيفي فيكون مرن في الخطة ويكون لدي تصميم ناشئ يتطور خلال جمع البيانات.

لا يمكن للباحث الكيفي أن يضع فرضيات مسبقة في بحثه ،أو يختبر علاقة بين متغيرات معدة مسبقا ،فهو يدرس عوامل ومؤثرات كلية حول الإنسان بالاعتماد على المقابلات والملاحظات للخروج بتفسيرات ونتائج.

4-المعاينة والعينات:

- تكون العينات في البحث الكيفي مقصودة والعدد محدد ،وتنتقى مفردات تعطي معلومات غزيرة ،فيكون اختيار الأشخاص في العينة بطريقة هادفة أو مقصودة لهم خصائص الدراسة ،حيث يتم استخدام العينات غير الاحتمالية :الصدفية ،القصدية ،كرة الثلج ،الحصصية.
- يتم اختيار عينات ممثلة للمجتمع في البحث الكمي ،بصورة عشوائية (احتمالية) :بسيطة ،منتظمة ،طبقية ،متعددة المراحل.

5-أدوات الدراسة:

- يتم استخدام الاستبيانات والمقابلات المبنية بناءا محكما في البحث الكمي ،وتكون الأسئلة نمطية ومعدة مسبقا ,
- يستخدم البحث الكيفي الملاحظة والمقابلة المعمقة وغير النمطية التي تختلف من فرد لآخر ،أي أنها مرنة تتكيف مع الحالات المختلفة.

6-دور الباحث:

تكتسب استقلالية الباحث عن موضوع البحث قيمة كبرى في البحث الكمي ،بخلاف ذلك فإن البحث الكيفي يعود إلى الإدراك الذاتي للباحث بوصفه عنصرا أساسيا من المعرفة ،أي أنه يكون مرن وينغمس في الدراسة ،أي أن الباحث لا يكون محايدا ولديه مرونة فيغير الخطة وفق مجريات البحث عكس الباحث الكمي الذي يكون موضوعي منفصل عن الدراسة وغير متحيز.

7- تحليل البيانات وتفسيرها:

يكون تحليل البيانات في البحث الكمي بعد الانتهاء من جمع البيانات ،أما في المقاربة الكيفية يكون أثناء جمعها مما يساعد الباحث على تحديد الخطوات المقبلة مع وجود تحليل شامل في النهاية ،كما أن البحوث النوعية لا تعتمد على الطرق الرقمية والإحصائية في تفسير البيانات ،بل تعمل على تفسير الظواهر المبحوثة عن طريق ألفاظ وكلمات وعبارات.